مبنية التوسيع فبعيد لان مفهوم من يشاء البسط له وان كان مبهما من حيث تناوله الافراد
المندرجة تحته لكن لا ابهام فيه من حيث تناوله الموسع له والمضيق لظهور انه لا يتناول
المضيق عليه المختلفين ذاتا حتى يكون الضمير الراجع اليه مبهما منه متناوله للمضيق عليه الا ان
يقال المراد بقوله لان من يشاء مبهم ان مفهوم من يشاء مع قطع عن تعلقه بالمعمول المحذوف مبهم يتناول
الموسع له والمضيق عليه فان قلنا تعلق به المشية كما يصدق على من تعلقت المشية بالتوسيع له يصدق
ايضا على من تعلقت بالتضييق عليه فيكون الضمير الراجع اليه مبهما مثله فحصل الموسع له والمضيق
عليه ذاتا مع رجوع الضمير لمن يشاء كما اذا قيل يبسط لمن يشاء ويقدر لمن يشاء لا يشتبه
عند احد ان المبسوط له غير المقتور عليه فكذا اذا قيل ويقدر له لانه في قوة ذلك لان من يشاء مبهم
بالتوجيه الذي ذكرنا فيكون ضميره ايضا كذلك فصح لابهامه ان يراد به غير الاول
ثم انه تعالى لما قال الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك فقال ولئن سألتهم من نزل من
السماء ماء الآية لان تنزيل الماء سبب لوجود الرزق فالاعتراف بان موجد السبب
هو الله تعالى اعتراف بان موجد المسبب ايضا هو الله تعالى فهو اعتراف بان الرزاق هو الله
تعالى قوله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة وهي الضلالة المناقضة بين اعترافهم
بان موجد الممكنات باسرها اصولها وفروعها هو الله عز وجل وبين اشراكهم به ما لا يقدر
على شيء قوله او على تصديقك من اضافة المصدر الى مفعوله اي وعلى تصديق الله تعالى
اياك بحملهم على الاقرار بما هو حجة عليهم المستلزم لتبكيتك اياهم بالحجة قوله فتناقضوا
يعني ان كلمة بل للاضراب عن الاول والاخذ فيما هو اهم فانه تعالى ذكر اولا انهم اقروا بما يدل
على التوحيد ويناقض سلوكهم طريق الشرك ثم انتقل الى ما هو اهم وهو بيان انهم مسلوبو العقول
فلا يبعد عنهم مثل هذه الجهالة والمناقضة فهو اضراب عن اظهار جهلهم الخاص الى بيان ان
شانهم الجهل مطلقا فعلى هذا يكون قوله قل الحمد لله اعتراضا بين المنتقل عنه والمنتقل اليه على انه
يجوز جعل الاضراب من تتمة قوله الحمد لله ومعنى الاضراب انهم اذا لم يفطنوا لتلك المناقضة
الظاهرة فاولى ان لا يفطنوا انك لم حمدت الله تعالى عند اعترافهم بذلك قوله اشارة تحقير
فانه قد نزل قرب الدرجة ودناءة المنزلة منزلة قرب المسافة فيشار اليه بلفظ القريب
كقول الكفرة في حق ابراهيم عليه السلام اهذا الذي يذكر الهتكم واللهو ما يتلذذ به الانسان ويجعله يشتغل
به معرضا بسببه عما يهتم ويلهيه ساعة ثم ينقضي قوله لهي دار الحيوة جواب عما يقال
كيف اطلق الحيوان بمعنى الحيوة او بمعنى النامي الحساس على الدار الاخرة مع انها ليست عبارة
عن الحيوة ولا النامي الحساس وتقرير الجواب ان الحيوان مصدر بمعنى الحيوة والكلام على تقدير المضاف

المضاف او جعلت هي في ذاتها حيوة للمبالغة فان ما فيها من الحيوة لما كانت حيوة مستمرة دائمة
لا موت فيها صارت كانها في ذاتها حيوة قوله متصل بما دل عليه اي يعني الفاء عاطفة لمدخولها
على الجملة المدلول عليها بما ذكر قبلها قوله كائنين في صورة من اخلص دينه لله يعني انه سماهم مخلصين
تهكما بهم من حيث انهم ليسوا مخلصين حقيقة من حيث انه انما الجاءهم الى ان يذكروا الله تعالى
خاصة وترك ما سواه خوف الغرق والهلاك وفي الاية مضمر وتقدير الكلام فاذا ركبوا في
الفلك وهاجت الرياح واضطربت الامواج وكادت تغرقهم دعوا الله ودل على هذا المحذوف
ذكر النتيجة بعده قوله اللام فيه لام كي اي يشركون ليكون اشراكهم كفرا بنعمة الانجاء والمعنى
انه لا فائدة لهم في الاشراك الا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير ان يترتب عليه
نصيب في الاخرة ثم انه تعالى لما ذكر ان المشركين يخصون الله بالدعاء والتضرع عندما وقعوا
في الخوف الشديد من امواج البحر ثم يعودون الى الشرك القديم وقت الخلاص عنه بالخروج
الى البر ذكر حالهم عند غاية الامن وهو اشراكهم بالله الذي جعل لهم حرما امنا
يامنون فيه بنفوسهم واموالهم فان اخوف احوال الانسان حال كونه في البحر حال تلاطم الا
لامواج فيضطر الى التوحيد واخلاص الدين له ضعفا ويترك الشرك بعدما نجاه الله
تعالى الى البر اذا كان قبيحا فشركهم في حرم الله الذي يامن في البلاد مما يهابه في كونه
ما منا في غاية القبح فلذلك انكر عليهم بقوله افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون
ثم بالغ في وجه الانكار بان بين ان مجرد الشرك نهاية الظلم من المشرك فكيف اذا كان الاشراك
في مقام يجب ان يكون العبد فيه احسن حالا منه في ساير البلاد وانما قلنا الشرك نهاية الظلم
لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه سواء امكن وضعه فيه او امتنع فمن وضع شيئا في موضع
لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم لان عدم الامكان اقوى من عدم اللياقة
وكذا التكذيب بالحق ظلم ومن كذب به اول ما سمعه من غير توقف وتامل كان اظلم قوله الستم
خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح الندى الجود يقال رجل ندي اي جواد
وفلان اندى من فلان اذا كان اكثر خيرا منه قيل لما بلغ الشاعر وهو جرير هذا
البيت من قصيدته وكان الخليفة متكئا استوى جالسا فرحا وقال من مدحنا فليمدحنا
هكذا واعطاه مائة من الابل لو كان مقصود الشاعر بقوله الستم الاستفهام لما اعطاه
الخليفة مائة من الابل بل الهمزة فيه للانكار دخلت على النفي فافادت اثبات الخيرية وتقريرها
فكذا في الاية كانت لتقرير ثوابهم فيها فكان المعنى الا يثوون في جهنم والا يستحقون الثواب فيها
وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله تعالى قوله او لنهدينهم عطف على قوله لنثوينهم اي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)